الفصل الرابع

تحسين الصوت بالقرآن وطلب القراءة من حسن الصوت والاستماع لها

الحديث الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمْ يَأْذَنِ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ»، وَقَالَ صَاحِبٌ لَهُ: يُرِيدُ يَجْهَرُ بِهِ[١].

وفي رواية: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ»[٢].

وفي رواية: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ كَأَذَنِهِ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ»[٣].

وعن عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ، قال: مَرَّ بِنَا أَبُو لُبَابَةَ فَاتَّبَعْنَاهُ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَإِذَا رَجُلٌ رَثُّ الْبَيْتِ، رَثُّ الْهَيْئَةِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ»، قَالَ: فَقُلْتُ لِابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، أَرَأَيْتَ إِذَا لَمْ يَكُنْ حَسَنَ الصَّوْتِ؟ قَالَ: يُحَسِّنُهُ مَا اسْتَطَاعَ»[٤].

«**التغنِّي بالقرآن**»: تحسين الصوت بقراءته، وقيل: الاستغناء به، وقيل: التحزُّن به. وقيل: التشاغل به، وقيل: التلذذ به والاستحلاء له»[٥].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦ / ٥٠٢٣)، مسلم (١/ ٧٩٢) واللفظ للبخاري. وغيرهم.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦/ ٥٠٢٣)، مسلم (١/ ٧٩٢) واللفظ لمسلم. وغيرهم.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦ / ٥٠٢٣)، مسلم (١ / ٧٩٣) واللفظ لمسلم. وغيرهم.

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٢/ ١٤٧١)، والطبراني في «الكبير» (٥/ ١٤٧١). وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» برقم [١٤٧١].

(٥) «تطريز رياض الصالحين» للشيخ فيصل بن عبد العزيز النجدي ص[١٠٠٤]، دار العاصمة، الرياض(٢٠٠٢ م)

قلت: الراجح من أقوال أهل العلم في معنى التغني: هو تحسين الصوت كما فسره ابن أبي مليكة، وليس المراد الاستغناء، ولو أراد الاستغناء لقال: يستغن، وأما تحسين الصوت فهو يتغنى، كما قال الشافعي[(١)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقد فهم من هذا أن السلف إنما فهموا من التغني بالقرآن إنما هو تحسين الصوت به وتحزينه؛ كما قال الأئمة رحمهم الله»[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر الخلاف في تفسير التغني لغة: «ظواهر الأخبار ترجح أن المراد: تحسين الصوت، ويؤيده قوله: «يَجْهَرُ بِهِ»؛ فإنها إن كانت مرفوعة قامت الحجة به، وإن كانت غير مرفوعة؛ فالراوي أعرف بمعنى الخبر من غيره؛ لا سيما إذا كان فقيهًا. ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم؛ لأن للتطريب تأثيرًا في رقة القلب، وإجراء الدمع، وكان بين السلف اختلاف في جواز القرآن بالألحان، أما تحسين الصوت، وتقديم حسن الصوت على غيره؛ فلا نزاع في ذلك، ومحل هذا الاختلاف إذا لم يختل شيء من الحروف عن مخرجه، فلو تغير؛ قال النووي في «التبيان»: أجمعوا على تحريمه. ولفظه: أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقرآن؛ ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط، فإن خرج حتى زاد حرفًا أو أخفاه؛ حرم.

ثم ذكر أن ابن أبي داود أخرج من طريق ابن أبي مشجعة قال: كان عمر يقدم الشاب الحسن الصوت؛ لحسن صوته بين يدي القوم»[(٣)].

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جاء في السنة الصحيحة الحث على التغني بالقرآن، يعني تحسين الصوت به، وليس معناه أن يأتي به كالغناء، وإنما المعنى تحسين الصوت

---

(١) «شرح ابن بطال على صحيح البخاري» (١/ ٢٦٠).

(٢) «فضائل القرآن» لابن كثير ص[١٨٩].

(٣) «فتح الباري» (٩/ ٧٢-٩٢) باختصار.

بالتلاوة، ومنه الحديث الصحيح: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به». وحديث: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن يجهر به»[١]. ومعناه تحسين الصوت بذلك كما تقدم. ومعنى الحديث المتقدم «مَا أَذِنَ اللهُ» أي: ما استمع الله، «كَأَذَنِهِ» أي: كاستماعه، وهذا استماع يليق بالله لا يشابه صفات خلقه مثل سائر الصفات، يقال في استماعه سبحانه وإذنه مثل ما يقال في بقية الصفات على الوجه اللائق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا شبيه له في شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، والتغني الجهر به مع تحسين الصوت والخشوع فيه حتى يحرك القلوب؛ لأن المقصود تحريك القلوب بهذا القرآن حتى تخشع وحتى تطمئن وحتى تستفيد، ومن هذا قصة أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما مر عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقرأ فجعل يستمع له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: «لقد أوتي هذا مزمارًا من مزامير آل داود»[٢]. ولم ينكر عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك، فدل على أن تحبير الصوت وتحسين الصوت والعناية بالقراءة أمر مطلوب ليخشع القارئ والمستمع ويستفيد هذا وهذا»[٣].

قال ابن القيم في مسألة تحسين الصوت بالقرآن وقراءته بالإلحان: «وفصل النزاع أن يقال التطريب والتغني على وجهين. أحدهما: ما اقتضته الطبيعة وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين وتعليم بل إذا خلي وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين فذلك جائز، وإن أعان طبيعته فضل تزيين وتحسين كما قال أبو موسى للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لوعلمت إنك تسمع لحبرته تحبيرًا»[٤]، والحزين ومن هاجه الطرب

---

(١) مر تخريجه سابقًا.

(٢) سيأتي تخريجه لاحقًا إن شاء الله.

(٣) «مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز» (١١/ ٣٥٠)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

(٤) سيأتي تخريجه لاحقًا إن شاء الله.

والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراءة، ولكن النفوس تقبله وتستحليه لموافقته الطبع وعدم التكلف والتصنع فهو مطبوع لا متطبع وكلف لا متكلف، فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويستمعونه وهو التغني الممدوح المحمود، وهو الذي يتأثر به السامع والتالي وعلى هذا الوجه تحمل أدلة أرباب هذا القول كلها.

والوجه الثاني: ما كان من ذلك صناعة من الصنائع وليس في الطبع السماحة به بل لا يحصل إلا بتكلف وتصنع وتمرن كما يتعلم أصوات الغناء بأنواع الإلحان البسيطة، والمركبة على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة لا تحصل إلا بتعليم والتكلف فهذه هي التي كرهها السلف وعابوها وذموها ومنعوا القراءة بها وأدلة أرباب هذا القول إنما تتناول هذا الوجه، وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ويتبين الصواب من غيره، وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعًا أنهم براء من القراءة بإلحان الموسيقية المتكلفة التي هي إيقاع وحركات موزونة معدودة محدودة، وإنهم اتقى لله من أن يقرؤا بها ويسوغوها ويعلم قطعًا أنهم كانوا يقرؤن بالتحزين والتطريب، ويحسنون أصواتهم بالقرآن ويقرؤنه بشجي تارةً وبطرب تارةً وبشوق تارة، وهذا أمر في الطبائع تقاضيه ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطبائع له بل أرشد إليه وندب إليه وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به»[(١)].

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَهُ: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»[(٢)].

الحديث الثالث: وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»[(٣)].

---

(١) «زاد المعاد» لابن القيم (١/ ٤٧٤).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦/ ٥٠٤٨)، مسلم (١/ ٧٩٣) واللفظ لمسلم. وغيرهم.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٢/ ١٤٦٨)، والنسائي (٢/ ١٠١٥)، وابن ماجه (٢/ ١٣٤٢)، وأحمد (٣٠/ ١٨٤٩٤)، والدارمي (٤/ ٣٥٤٣). وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣٥٧٩].

قال السندي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(زينوا القرآن بأصواتكم): أي بتحسين أصواتكم عند القراءة، فإن الكلام الحسن يزيد حُسنًا وزينةً بالصوت الحسن وهذا مشاهد»(١).

الحديث الرابع: وعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «حَسِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا»(٢).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في التبيان: «أجمع العلماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار أئمة المسلمين على استحباب تحسين الصوت بالقرآن وأقوالهم وأفعالهم مشهورة نهاية الشهرة فنحن مستغنون عن نقل شيء من أفرادها ودلائل هذا من حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستفيضة عند الخاصة والعامة»(٣).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «والغرض أن المطلوب شرعًا، إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تَدَبُّرِ القرآن وتفهمه، والخشوع والخضوع والإنقياد للطاعة.

فأما الأصوات بالنغمات المحدثة، المركبة على الأوزان، والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائي، فالقرآن يُنَزَّه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب»(٤).

الحديث الخامس: عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ: «لَوْ رَأَيْتَنِي يَا أَبَا مُوسَى وَأَنَا أَسْمَعُ قِرَاءَتَكَ الْبَارِحَةَ لَقَدْ أُعْطِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ

---

(١) «حاشية السندي على سنن ابن ماجه» (١/ ١٣٤٢).

(٢) صحيح: أخرجه الدارمي في «سننه» (٤/ ٣٥٤٤). وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣١٤٥].

(٣) «التبيان في آداب حملة القرآن» ص[١٠٩].

(٤) «فضائل القرآن» لابن كثير ص[١٩٥].

آلِ دَاوُدَ». قَالَ: قُلْتُ: أَمْ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْمَعُ لِقِرَاءَتِي لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا».

قال ابن الجوزي: «المراد «بالمِزْمَار» طيب الصوت، وذكر الآلِ صلة، والمعنى من مزامير داود. ويروى أنه كان إذا قرأ داود وقف الطير.

«والتحبير»: التحسين والتزيين، والمحبر: الشيء المزين، وكان يقال لطفيل المحبر، لأنه كان يحبر الشعر.

وفي هذا جواز تحسين الصوت وتجويد التلاوة لأجل انتفاع السامعين، ولا يقال إن زيادة التجويد في ذلك رياء لأجل الخلق إذا كان المقصود اجتذاب نفعهم: فأما الألحان التي يصنعها قراء هذا الزمان فمكروهة عند العلماء، لأنها مأخوذة من طرائق الغناء»(١).

الحديث السادس: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: أَبْطَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ بَعْدَ الْعِشَاءِ، ثُمَّ جِئْتُ، قَالَ: **أَيْنَ كُنْتِ؟**، قُلْتُ: أَتَسْمَعُ قِرَاءَةَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِكَ فِي الْمَسْجِدِ لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَ صَوْتِهِ وَقِرَاءَتِهِ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ، قَالَتْ: فَقَامَ وَقُمْتُ مَعَهُ حَتَّى اسْتَمَعَ لَهُ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: **هَذَا سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، الحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَ هَذَا**»(٢).

الحديث السابع: وعن البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «**سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ فِي العِشَاءِ، وَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ أَوْ قِرَاءَةً**»(٣).

---

(١) «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (١/ ٣٩١).

(٢) صحيح: أخرجه ابن ماجه (١/ ١٣٣٨). وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم [٣٣٤٢].

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (١/ ٧٦٩)، مسلم (١/ ٤٦٤) وغيرهم.

«قال ابن جبرين: فمن هذه الأدلة يباح اختيار الإمام الذي يجيد القرآن، ويكون حسن الصوت به والترتيل، وإذا كان بعيدًا فالذهاب إليه أكثر أجرًا، لما يكتب من الخطوات والذهاب والمجيء، والله الموفق»[١].

الحديث الثامن: وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأْ عَلَيَّ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، آقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟، قَالَ: «نَعَمْ»، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]، قَالَ: «حَسْبُكَ الآنَ»، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ»[٢].

وفي رواية: قَالَ: «إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»[٣].

❁ ❁ ❁

(١) فتاوى الشيخ ابن جبرين.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦/ ٥٠٥٠)، مسلم (١/ ٨٠٠) وغيرهم.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦/ ٥٠٥٠)، مسلم (١ / ٨٠٠) واللفظ لمسلم وغيرهم.

obeikandl.com